الأحوال السياسية لمدينة حران في القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي

محمد عبد الهادي حسن العبودي أ.د. عبد الخضر جاسم حمادي
جامعة بابل /كلية التربية للعلوم الإنسانية/قسم التاريخ الاسلامي

المستخلص

كان هذا البحث رحلة تأريخية مع مدينة حران منذ تأسيسها مروراً بفتحها على يد المسلمين وحتى زوالها واندثارها على يد المغول، وقد تناثرت الروايات عن مدينة حران فيما بين كتب التاريخ ومصنفات التفسير ومؤلفات البلدانيين، والتي عكف الباحث على جمع ما استطاع منها في هذه الدراسة التي أوضحت الأحوال السياسية لمدينة حران في القرن السابع الهجري /الثالث عشر الميلادي، إذ تمسك بها الأيوبيون قرابة القرن من الزمان،وحين تعرضت المدينة إلى غزو السلاجقة الروم سنة (632 هـ/ 1234 م) جهز الأيوبيون جيشاً مصرياً وهزموا سلاجقة الروم واستعادوا المدينة، وعلى أثر تضعضع سلطة الأيوبيين وبروز الخوارزميين كقوة مؤثرة في الجزيرة الفراتية حتى فرضوا سيطرتهم على مدينة حران، مما أدى بالأيوبيين أن يهزموهم ويستعيدوها ثانيةً، ولكن وصول المغول بجيوشهم الجرارة وعلى رأسهم هولاكو سنة (658 هـ/ 1260 م) أدى إلى استسلام مدينة حران لهم، وسرعان ما استطاع المماليك البحرية هزيمة المغول في معركة عين جالوت في نفس السنة واسترجاع معظم مدن الجزيرة الفراتية ومنها حران، ولكن انسحابهم من المدينة أدى إلى رجوع المغول إليها ثانية، إذ دمروها وأزالوها من الوجود سنة (670 هـ / 1271 م).

Abstract

This research was historic journey with the city of Harran since its inception through the opening at the hands of Muslims and even demise and extinction at the hands of the Mongols, was littered with tales of the city of Harran among the history books and works of interpretation and literature Albuldanyen, which engaged a researcher to collect what could ones in this study, which showed political conditions for the city of Harran in the seventh century AH/ thirteenth century, it stuck out Ayyubid nearly century ago, and while the town came to the invasion of the Seljuk rum year (632 AH/ 1234 AD) equipped Ayyubid army Egyptian and defeated the Seljuks rum and regained the city, and on the impact of the erosion the authority of the Ayyubid and the emergence of Akhawarzmeyen as an influential force in the island Lafratip even seizing control of the city of Harran, resulting Baloaobien that Ahzmohm and Istaidoha seconds, but the arrival of the Mongol armies tractor, headed by Hulagu year (658 AH/ 1260) led to the surrender of the city of Harran them, and soon was able to Bahri Mamluks defeat the Mongols at the Battle of Ain Jalut in the same year and recover most of the cities of the island, including Lafratip Harran, but they withdrew from the city led to the Mongols to return again, as it destroyed and erased from existence the year (670 AH / 1271 AD)

المقدمة

لا يخفى على كل مطلع في أوراق التاريخ ما لمدينة حران من مكانة في نواحي عديدة، منها مكانتها الدينية أولاً، كونها– وباتفاق أهل التفاسير والتاريخ– أنها مهاجر النبي إبراهيم y وأنها كانت مصلى لسبعين نبي، وأهمية تاريخية تأتي في المقام الثاني، ودليلنا على ذلك إصرار عظماء الملوك والسلاطين للاستيلاء عليها، بدءاً ببختنصر البابلي (604 – 561 ق. م) ومروراً بالاسكندر المقدوني (356 – 323 ق. م) وانتهاءً بالسلطان الظاهر بيبرص

(625 – 676 هـ)، فضلاً عن أهميتها السوقية كونها تتوسط ملتقى الطرق التجارية بين العراق والشام والروم، ومكانة علمية، إذ إنها أنجبت علماء ورواة ومحدثين ليشار إليهم بالبنان وتشد إليهم الركبان .

وقد اختلفت الروايات في بداية تأسيس مدينة حران فمن الروايات ما أكدت أنها بنيت أيام النبي إبراهيم y وأن أخاه (هاران) هو الذي بناها وإليه نسبت، وروايات أخرى ذكرت أنها بنيت بعد الطوفان وكانت مملكة قائمة حين هاجر إليها النبي إبراهيم y .

وأما فتحها من قبل المسلمين فقد اتفق المؤرخون أنها فتحت أيام الخليفة عمر بن الخطاب (رض) (13 – 23 هـ) وقد فتحها القائد عياض بن غنم الفهري سنة (19 هـ / 640 م) صلحاً وفق شروط فتح مدينة الرها من قبلها، لأنها كانت تابعة إدارياً لمدينة الرها أيام الروم، كما أن المدينتين يقطنهما شعب واحد مؤلف من الصابئة والنصارى، وقد تم التطرق في هذا البحث إلى الأحوال السياسية لمدينة حران في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، إذ قسم إلى ثلاثة مباحث ذكرنا في المبحث الأول استقرارها تحت حكم الملك محمد الكامل بن سيف الدين العادل الأيوبي حتى سنة (632 هـ/1234 م)، ثم احتلالها من قبل سلاجقة الروم أواخر سنة (632 هـ/ 1234م)، أما المبحث الثاني فقد تناولنا فيه تملك الخوارزمية مدينة حران، ثم محاولتهم التوسع حتى اصطدامهم بالحلبيين وانهزامهم أمامهم سنة (638 هـ/ 1240 م)، إذ استولى الحلبيون على مدينة حران بعد طردهم للخوارزميين الذي هربوا إلى مدينة عانة، ثم وقوع المدينة تحت احتلال وسطوة المغول الذين اجتاحوا الجزيرة الفراتية سنة (658 هـ/ 1260 م)، أما المبحث الثالث فقد تطرقنا فيه إلى استيلاء المماليك البحرية على مدينة حران بعد أن استطاعوا هزيمة المغول في معركة عين جالوت الشهيرة سنة (658 هـ / 1260 م) الذين لم يتركوا نواب لهم في المدينة، لذلك عاد المغول إليها وهجروا أهلها إلى الموصل وماردين وهدموا أسوارها وأسواقها وجامعها وتركوها خاوية على عروشها، حينها اندثرت مدينة حران بالكلية .

المبحث الأول: مدينة حران تحت حكم الأيوبيين .

أولا : تداول الملك كامل محمد وأخيه الملك الاشرف موسى حكم مدينة حران حتى سنة(632هـ/1234م):

بعد تمكنه من ابعاد الملك الافضل [1] من مصر، استقر الملك العادل محمد بن ايوب في حكمها، حينذاك استدعى ابنه الاكبر الملك الكامل محمد بن محمد ليعاضده في ذلك و " سلم الملك العادل حران وما معها لولده الملك الاشرف" [2]، وقد وصف الملك الاشرف موسى (ت،635هـ/1237م) بانه كان حليماً كريم الاخلاق كثير العطاء، محباً لأهل الحديث وبنى بدمشق داراً للحديث، وقال سبط بن الجوزي :" كان الاشرف يحضر مجالسي" [3] .

وقد استمر الملك الاشرف موسى يحكم مدينة حران إلى أن قايضها مع اخيه الملك الكامل محمد (ت،635هـ/1237م) الذي كانت له ولاية دمشق، وفي ذلك قال ابن فضل الله العمري انه سلم البلاد الشرقية وبضمنها مدينة حران إلى اخيه الملك الكامل[4] .

عندها ولى الملك الكامل محمد علي حران احد اتباعه وهو شمس الدين صواب العادلي[5]،(ت، 632هـ/ 1234م)، وبقي عليها إلى أن قصد الملك الكامل محمد أمد[6] ففتحها في سنة (629هـ/1231م)، عندها جعل ابنه الملك الصالح نجم الدين ايوب[7]، على كل انحاء الجزيرة ومنها مدينة حران .

أن هذا التسلسل الزمني في الولاية على مدينة حران قد اكده ابن شداد في قوله : أن مدينة حران بقيت بيد الملك العادل إلى أن ملك مصر واستدعى ابنه الملك الكامل اليها، واقطع الملك الاشرف حران في سنة (599هـ/1202م) وبقيت بيد الملك الاشرف موسى إلى أن قايض اخاه الملك الكامل محمد عن دمشق بحران والرها وسروج سنة (626هـ/1228م)، فولى الملك الكامل محمد في حران الأمير شمس الدين صواب العادلي، والذي بقي متولياً بها إلى أن قصد الملك الكامل محمد أمد ففتحها سنة (629هـ/1231م) حينها استناب ابنه الملك الصالح نجم الدين (ت،647هـ/1249م) على الجزيرة باجمعها[8] .

وقد وردت أشارات في كتب البلدان تدعم رواية ابن شداد التي ذكرت أن الاشرف موسى كان يحكم مدينة حران اواخر القرن السادس ومطلع القرن السابع الهجريين، فقد روى الحموي في سيرة القاضي الاشرف أبو الفضائل يوسف بن إبراهيم بن عبد الواحد الشيباني القفطي (ت،624هـ/1226م)، أن القاضي المذكور قدم مدينة حران في حدود سنة (602هـ/1205م) و" استوزة الملك الاشرف موسى بن العادل، ثم ساله الاذن بالحج، فأذن له، وجهزه احسن جهاز على أن يحج ويعود" [9] إلى حران .

كما ورد عند الحميري انه في سنة (616هـ/1219م) استولى الإفرنج على مدينة ديمياط[10]، فتجهز الملك الكامل محمد لاخراجهم منها،"فأجتمع عنده من ملوك الاسلام نحو... وفيهم أخواه المعظم عيسى صاحب دمشق والأشرف موسى صاحب حران وما يليها"[11]، وكذا قال الحموي في روايته: "وأعانه اخواه الاشرف والمعظم حتى استنقذ ديمياط"[12].

وفي روايات المؤرخين اخبار كثيرة تدعم ما ذهب اليه البلدانيون في هذا المجال، ومنهم ابن نظيف الحموي الذي ذكر في احداث سنة (600هـ/1203م) أن الملك العادل قد رحل من خربة اللصوص[13]، ونزل مرج العيون[14] وراسله الإفرنج إلى أن تقرر الصلح وعاد الملك العادل إلى دمشق وامر الملك الاشرف بالعودة إلى حران" [15]، اما المؤرخ ابن الأثير فقد وضح التوزيعات الإدارية على ابناء الملك العادل محمد بن ايوب (ت،615هـ/1218م) إذ قال: "فجعل بمصر الملك الكامل محمد، وبدمشق والقدس وطبرية والاردن والكرك وغيرها من الحصون المجاورة لها ابنه المعظم عيسى، وجعل بعض ديار الجزيرة وميافارقين وخلاط وأعمالها لابنه الملك الاشرف موسى" [16] .

واكد المقريزي ذلك في أن نصيب الاشرف موسى من ابيه كان مدينة حران وماجاورها بقوله:" واعطى ابنه الملك الاشرف مظفر الدين موسى البلاد الشرقية وهي الرها وما معها من حران وغيرها" [17].

اما مقايضة البلدان بين ابناء العادل، فقد ذكرته المصادر البلدانية، فقالت:استولى الملك الكامل على دمشق... تسلم الاشرف دمشق، وتسلم الكامل من الاشرف البلاد الشرقية[18]،وعندما استقرت المقايضة بين الكامل محمد والاشرف موسى عاد الكامل إلى بلاده، إذ قال ابن فضل الله العمري انه" لما فرغ الكامل من تقرير أمر البلاد الشرقية وهي حران وما معها من البلاد،عاد إلى الديار المصرية" [19]، وكذا قال المقريزي في حوادث سنة (626هـ/1228م) والتي ذكرت فيها المقايضة:" وتسلم الكامل دمشق ... واعطاها للاشرف، واخذ منه ما معه من بلاد الشرق وهي حران والرها وسروج وغير ذلك" [20] .

وجاء في مثل هذا القول ابن الوردي في تاريخه[21]، وهناك رواية لشاهد عيان كان في مدينة حران سنة (626هـ/1228م) وذكر ما كان فيها من احداث سياسية، وهو ابن خلكان الذي قال:" اجتزت بحران في شوال سنة ست وعشرين وستمائة والملك الكامل مقيم به بعساكر الديار المصرية" [22] .

أن قبول الاشرف موسى أن تكون دمشق لسلطانه وان يتنازل عن بلدان واراضي واسعة في الجزيرة، ويبدو أن ذلك حصل لأنه اراد أن يشبع رغبته من دمشق المدينة الاثيرة عنده، والتي كان يحبها حباً جماً، كما ذكر ذلك ابن العديم في قوله :" كان الملك الاشرف يحب دمشق حباً مفرطاً" [23]، سيما وان مدينة دمشق من اهم حواضر بلاد الشام، وهي عاصمة الأمويين لقرابة القرن من الزمان، ولهذا فقد تهافتت عليها الدول والامارات الإسلامية، كلا يحاول بسط نفوذه على تلك المدينة العريقة، ولذلك قيل : أن من ملك دمشق فقد ملك الشام[24] .

ثانيا :احتلال سلاجقة الروم مدينة حران سنة (632هـ/1235م) وأسترجاع الأيوبيين لها :

السلاجقة فرع من بطون قبائل الغز ، وهي شعوب تركية موطنها الاصلي سهول اوراسيا، التي تبدأ من حدود الصين وتمتد حتى شواطئ بحر الخزر[25]، وهي اهم رعوية مقاتلة، يرحلون من مكان الى اخر طلباً للمرعى[26]، وقد وصفهم الجاحظ بقوله :" الترك اصحاب عمد، وسكان فياف وارباب مواشٍ ... ولم يكن همهم غير الغزو والغارة وركوب الخيل" [27] .

وفي عهد المامون (198–218هـ) اغاروا على اشروسنة[28]، ثم تركوا موطنهم الاصلي اقصى سهول تركستان ورحلوا الى بلاد ما وراء النهر، حيث استقروا قرب بخارى[29]، ويبدو ان سبب الهجرة يعود الى ضيق رقعة ديارهم، وقلة مراعيهم، واستمرار الحروب فيما بينهم، وحدوث القحط في مناطقهم .

وينسب السلاجقة الى جدهم الاعلى سلجوق بن دقاق الذي اعتنق الدين الاسلامي في العقد الاخير من القرن الرابع الهجري[30]، ويعتبر طغرلبك اول الملوك السلجوقية[31]، ومؤسس دولتهم في ايران والعراق[32] .

فقصد ارمينية[33]، وحاصر ملاذكر التي كانت خاضعة للنفوذ البيزنطي، ولما عجز عن فتحها عاد الى الري[34] سنة (446هـ/1054م)، وقد اكمل الب ارسلان بن داود بن ميكال بن سلجوق (ت،465هـ/ 1072م)[35]، بناء دولة السلاجقة التي ابتدأت في ايام عمه طغرلبك، ونجح في ذلك نجاحاً مشهودا، بعد ان حقق نصره الحاسم على البيزنطيين في معركة ملاذكر سنة (463هـ/1070م)، ففتح هذا النصر الطريق امام السلاجقة لدخول اسيا الصغرى، وتكوين دولة سلجوقية عرفت فيما بعد باسم دولة سلاجقة الروم، وكان سليمان بن قلتمش بن اسرائيل بن سلجوق اول من اسسها، ثم استطاع احفاده الاستقلال عن الدولة السلجوقية الام، وتاسيس دولة لهم في الاناظول[36].

ويبدو ان سبب تسميتهم بسلاجقة الروم، لان البيزنطيين في العصور الوسطى الذين عرفهم العرب باسم الروم كانوا يسيطرون على هذه المنطقة، ولم تلبث ان سميت باسمهم، فظلت قروناً عديدة تعرف باسم بلاد الروم، ولما استقر السلاجقة فيها اطلق عليهم المؤرخون المسلمون اسم سلاجقة الروم .

وفي سنة (632هـ) كان سلطان سلاجقة الروم علاء الدين كيقباذ (ت،666هـ)، والذي وصف بانه ملكاً شجاعاً مهيباً[37]، وقد احتل مدينة حران وفق رواية ابن شداد التي ذكر فيها: ان الكامل محمد بن العادل حين ملك مدينة حران، استناب فيها ابنه الصالح نجم الدين ايوب، الذي حاول التوسع على حساب صاحب السلاجقة الروم علاء الدين كيقباذ، فخرج السلطان علاء الدين السلجوقي وكسره، واستولى على حران وغيرها[38]، وقد روى ابن فضل الله العمري ذات الاحداث، اذ قال انه في سنة (632هـ) قصد علاء الدين كيقباذ ملك السلاجقة الروم مدينتي حران والرها واستولى عليهما، وكانا للسلطان الملك الكامل محمد[39].

ورواية الاستيلاء على مدينة حران من قبل السلاجقة الروم وردت كذلك عند المقريزي، اذ قال :" واخذ ملك {السلاجقة} الروم الرها وحران بالسيف" [40]، وبمقارنة النصوص البلدانية المتقدمة مع روايات المؤرخين لاسيما ابن العديم (ت،660هـ) المعاصر للاحداث والمشارك في بعضهما، كون ملوك الشام كانوا يكلفونه بالسفارة فيما بينهم، كما حدث سنة (626هـ) حين ارسله الناصر داود الى الملك الاشرف ليعاونه ضد الكامل، كما قال ابن العديم :" وكنت رسولا عند الملك الاشرف بسنجار" [41]، تؤكد ذلك .

ان استيلاء السلطان علاء الدين كيقباذ على بلاد اخلاط وانتزاعها من نواب الملك الاشرف، ادى الى حدوث وحشة بينه وبين الاشرف حتى دفع الاخير الى الاتفاق مع اخيه الملك الكامل الذي جاء بعساكره من مصر، واتفق معهم ملوك الشام، مثل اسد الدين شيركوه صاحب حمص ومحمود بن المنصور صاحب حمص ومحمود بن المنصور صاحب حماة والناصر داود صاحب الكرك، وتهيئوا لذلك .

وكان من نتيجة المواجهة مع هؤلاء استيلاء علاء الدين السلجوقي ملك السلاجقة على الروم على مدينة حران، وفشل ملوك الشام في مواجهته بسبب وقوع الخلاف بينهم وبين الملك الكامل[42]، اما سبب الخلاف بين ملوك الشام والكامل، فقد علله ابن العميد تعليلاً مقبولاً، بانهم خشوا من انتصار الكامل، فقد علله ابن العميد تعليلاً مقبولاً، بانهم خشوا من انتصار الكامل على صاحب الروم السلجوقي فيدفعه ذلك ان يطمع فيهم فيخرجهم من بلدانهم في الشام والجزيرة، ويعوضهم بلاد صاحب الروم، فاتفقوا مع الاشراف على خذلانه، وكتبوا الى صاحب الروم بذلك، فوقعت كتبهم في ايدي الكامل، فعاقب بعضاً منهم وعاد ادراجه الى الديار المصرية، بعد ان وقعت الوحشة مع اخيه الاشرف[43] .

ومع ذلك فان الملك الكامل عاد في سنة (634هـ) واسترجع مدينة حران وفق رواية ابن فضل الله العمري، اذ قال:"سار الملك الكامل من مصر الى البلاد الشرقية واسترجع حران والرها من كيقباذ ملك الروم" [44] السلاجقة .

المبحث الثاني : تعاقب الخوارزميين والمغول على احتلال مدينة حران .

أولا : تملك الخوارزمية مدينة حران وهزيمتهم امام الحلبيين سنة (638هـ/1240م) :

ينسب الخوارزميون الى اقليم خوازم، الذي اتفق الجغرافيون على ان حدوده من الغرب بلاد الترك الغزية، ومن الجنوب خراسان ومن الشرق بلاد ما وراء النهر ومن الشمال بلاد الترك، وقد يعرف بجرجان[45] .

وروى الحموي عن كيفية تكون الخوارزمين، بان احد ملوك الشرق غضب على (400) من رعاياه، فنفاهم الى منطقة نائية، وبعد حين تذكرهم، فارسل للتعرف على احوالهم، فوجدهم قد بنوا اكواخاً وبقربها اكواماً من الحطب، وكان السمك عماد غذائهم، ولما كان الحطب عندهم يسمى (خوا) والسمك يسمى (رزم)، فهم خوارزم باعتبار معيشتهم تعتمد على السمك الذي يشوى الحطب[46] .

وهكذا اظهر الخوارزميون في الحياة العامة ضمن الدولة العربية الاسلامية، فعندما صار الكلام عن ارياض مدينة بغداد في ايام الخليفة ابو جعفر المنصور، فقيل :" ويتصل بربض الفرس، ربض الخوارزمية وهم من جند المنصور، وفي شارعهم درب يعرف بدرب النجارية" [47]، وهذه الرواية وردت عند ابن الفقيه بقوله :" ويتصل بربض الفرس، ربض الخوارزمية وهم من جند المنصور" [48] .

ان ظهور الدولة الخوارزمية مرتبط مع الدولة السلجوقية، ويرجع الفضل في ذلك الى (انوشتكين) (ت،490هـ) الذي كان مملوكاً ويعمل ساقياً في بلاط السلطان ملكشاه السلجوقي، ودرج في تلك الوظائف في

ايامه[49]، ثم نصبه السلطان بركيا روق[50] حاكماً على اقليم خوارزم، مكافاة له على خدماته للبيت السلجوقي[51]، وقد برز من اولاده قطب الدين محمد، الذي وصف بانه كان مهتماً بالعلم والدين، وقد اذن له السلطان سنجر السلجوقي (ت،552هـ)[52]بحكم خوارزم[53] بعد ابيه ولقبه بخوارزمشاه، وحكم نحو (30) عاما في طاعة اسياده السلاجقة، وبعد وفاته تولى ابنه اتسز[54]، الذي مالبث ان فكر بالاستقلال عن سلطان السلاجقة، وقد شجعه على ذلك حصوله على ثقة اهالي خوارزم وولائهم، فأظهر العصيان والتمرد على سيده السلطان سنجر السلجوقي، وبعد معارك طاحنة بين الخوارزميين والسلاجقة اعترف السلطان سنجر السلجوقي بخوارزمشاه ملكاً على خوارزم مستقلاً عن السلاجقة[55].

وقد حكم الدولة الخوارزمية نحو عشرين ملكاً، بدءاً من (انوشتكين) الساقي، وانتهاءاً بجلال الدين منكبرتي[56] (ت،628هـ)، الذي وصف بانه كان اسداً ضرغاماً، واشجع فرسانه اقداما، وقوراً، ميالاً للعدل، وقد اتسع سلطان الدولة الخوارزمية ليشمل مساحات واسعة من فرغانة[57]، شرقاً حتى اجزاء من العراق غرباً، ومن بحر قزوين شمالا حتى نهر السند جنوباً[58] .

وقد وصل الخوازميون الجزيرة الفراتية، ثم تقهقروا امام المغول نتيجة ضرباتهم القوية والمتلاحقة، فتشتت الجيش الخوارزمي بعد مقتل قائده السلطان جلال الدين منكبرتي سنة (628هـ)، فانحازت قطعة كبيرة منه الى دولة سلاجقة الروم بقيادة عدد من مقدميها، منهم بركت خان[58] (ت،644هـ) الذي قبض عليه صاحب سلاجقة الروم السلطان كيخسرو (ت،643هـ) الذي تولى السلطة بعد موت ابيه كيقباذ سنة (634هـ)[59]، وعلى اثر هذا التنكيل باحد قادتهم، فارق الخوارزميون سلاجقة الروم، وتوجهوا نحو بلاد الجزيرة[60] .

اما ولايتهم على مدينة حران، فقد روى ابن شداد، انه بعد وفاة الملك الكامل محمد بن العادل " استولى الملك الصالح – ولده – على ماكان في يد ابيه من بلاد الجزيرة، واستمرت في يده الى ان استدعى الخوارزمية واستنجدهم فاقطع مدينة حران بركت خان الخوارزمي وبقيت العائلة في يد نوابه" [61] .

اما الروايات التاريخية فهي الاخرى غير متفقة وتتسم بالتناقص في كيفية حصول الخوارزمية على مدينة حران، فقد روى ابن العبري (ت،685هـ) المعاصر لابن شداد، ان الملك الناصر صاحب حلب، كان قد اقطعهم مابين النهرين {الخابور والبليخ} ومدن الرها وحران ليكفوا عن الفساد والغارات[62]، اما الصفدي فله رواية مفادها، ان الملك الصالح هو من كاتبهم واستمالهم، لغرض استخدامهم في الاستيلاء على مصر بعد وفاة ابيه[63] .

اما ابن العميد فقد ذكر ان الملك الصالح قد اعطى حران والرها والرقة للخوارزمية لانهم كانوا في خدمته[64]، وبعد ان امتدت اطماع الخوارزمية الى البلاد المجاورة لمدينة حران، وبخاصة قلعتي جعبر وبالس[65]، دفعت الملك الناصر صاحب حلب ان يطردهم من حران في سنة (638هـ)[66] .

وهناك من قال ان سبب طرد الخوارزمية من حران لانهم اشاعوا الفوضى في الجزيرة الفراتية من خلال عمليات السلب والنهب التي اقدموا عليها، لذلك قصدهم الملك الناصر، وفي ذلك قال ابن فضل الله العمري :" كثر عبث الخوارزمية وفسادهم ... فسار عسكر حلب وقصد الخوارزمية ... فولى الخوارزمية منهزمين، ثم سار عسكر حلب الى حران فأستولوا عليها وهرب الخوارزمية الى بلد عانة[67] " [68] .

وقد اكد الحلبي فيما بعد ان عسكر حلب اصطدم مع الخوارزمية فكسرهم، حتى اخرجوهم من مدينة حران[69]، وروى ابن الوردي " سار المسلمون فاستولوا على حران، وهرب الخوارزمية الى بلد عانة" [70]، وهي ذات الرواية عند الغزي[71] .

ثانيا : احتلال المغول لمدينة حران سنة (658هـ/1260م):

المغول صنف من الترك[72] . وهم قبائل متنقلة، كانت تستوطن هضبة منغوليا[73]، الممتدة من اواسط اسيا جنوبي سيبيريا وغربي منشوريا وشمالي التبت، وشرقي تركستان بين جبال التاي غرباً وجبال خنجان شرقاً[74] .

ان بعد هذه المناطق عن البحار جعل مناخها صحراوي متطرف في درجات الحرارة، مما اثر على شخصية الانسان المغولي، فصار شجاعاً صبوراً قاسياً مثل صحراءه[75]، وانعكس كذلك على نمط حياته المعيشية، فصار يحب التنقل والترحال، فمال الى الغزو واتسمت حروبهم بالتدمير والخراب[76]، وتعاملوا مع الشعوب المهزومة بمنتهى القوة والوحشية .

وقد مارس المغول مهنة الرعي والصيد[77]، وغدائهم المفضل لحوم الخيل والبانها ولحوم الكلاب والخنازير[78]، اما معتقداتهم الدينية، فالغالب عليهم الوثنية[79]، ومنهم من يبعد النار، واخرين يعترفون بوحدانية الله من دون عقيدة صحيحة[80] .

ويرجع الفضل في جمع قبائل المغول الى القائد (تموجين)[81]، الذي استطاع بدهائه وحنكته، رغم توليه قيادة قبيلته شاباً بعد موت ابيه، ان يواجه الاخطار ويحقق الانتصارات المتلاحقة على القبائل المجاورة ثم يوحدهم تحت تسمية (المغول) بعد اجتماع (قوريلناي)[82]، الذي حضره زعماء القبائل التابعة له، اذ اطلق عليه في هذا الاجتماع تسمية (جنكيز خان)[83]، واصدر قانوناً لدولته اسماه (الياسا) وهو مجموعة من التقاليد والاعراف التي تحدده طبيعة حياة المغول، وقد كتب بالخط الايغوري ليسهل تعلمه من الصغار والكبار[84] .

وبعد اخضاع جنكيز خان للمتمردين من القبائل المجاورة، وانضوائها تحت لوائه وبخاصة التتر، اصطدم بعد ذلك بالقوى الاسلامية الموجودة غرب دولته، ومنها الدولة الخوارزمية، والتي بلغت اقصى اتساعها زمن السلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه (ت،617هـ)، وحتى اصبحت تتاخم حدود الصين[85] .

وصارت حادثة تجار اترار[86]، السبب الذي تحجج به جنكيز خان كي يحشد اكثر من (200) الف مقاتل، اجتاح بهم الدولة الخوارزمية كافة[87]، ولم تمض مدة طويلة حتى اصبح لجنكيز خان مملكة مترامية الاطراف تبدأ من بكين شرقاً حتى العراق غرباً، ومن بلاد الروس شمالاً حتى الهند جنوباً[88] .

وقد تداعى العالم الاسلامي امام عاصفة المغول الهوجاء، التي ابادت العباد وسلبت البلاد، وهدمت القلاع وخربت المدن، وهرب الناس منها في كل وجه، وقد ارخ البلدانيون ذلك بحسرة والم، فما ان يترجموا لمدينة ما او ناحية الا ويصفونها بعبارات محزنة، مثل وصف الحوي لمدينة اردبيل[89]، وبعد خروج المغول منها " وخربوها خراباً فاحشا ثم انصرفوا عنها، وهي على صورة قبيحة من الخراب وقلة الاهل" [90]، وكذلك قوله في مدينة اسفيجاب[91] بعد خروج اهلها منها بسبب غزو المغول " فبقيت تلك الجنان خاوية على عروشها تبكي العيون وتشجي القلوب منهدمة القصور متعطلة المنازل والدور"[92]، وقول القزويني في مدينة شاذياخ[93] "استولى عليها التتر وخربوها"[94].

وكان اول وجود للمغول في الجزيرة الفراتية ايام الملك الكامل محمد بن العادل، الذي خرج من القاهرة سنة (629هـ) الى بلاد الشام لقتال المغول، وهم محاصرون مدينة اخلاط، فتوجه اليهم " وجعل ابنه الصالح على مقدمته فسار الى حران فرحل التتر عن خلاط" [95] .

اما رواية ابن شداد التي ترجم فيها واقعاً تاريخياً شهدته مدينة حران، تمثل باحتلال المغول بزعامة هولاكو[96]، للمدينة سنة (658هـ) والتي كانت من حواضر دولة الملك الناصر صاحب حلب، اذ قال " قصدها هولاكو في اوائل ستة وثمانون وخمسين، فنازلها وضايقها، واشرف على اخذها" [97]، فنزل له نواب الملك الناصر " وبذلوا الطاعة فكتب لهم بذلك يفلغ[98]، وتسلم البلد" [99]، وهي الرواية التي ارخها ابن فضل الله العمري فيما بعد، اذ قال في احداث سنة (658هـ) " وفي هذه السنة قصد هولاكو البلاد التي بشرقي الفرات، ونازل حران وملكها واستولى على البلاد الجزرية" [100]، ثم بعث ابنه سموط[101] الى حلب وغيرها .

وهذه الاحداث رواها مؤرخ معاصر لابن شداد، وهو ابن العميد (ت،672هـ)، حيث ذكر ان الملك الناصر يوسف ابن الملك العزيز قد بلغه ان هولاكو وصل بعساكره الى مدينة حران وحاصرها، وبعد ايام وصل الخبر بان هولاكو قد اخذ قلعة حران، واستولى على كل ماكان بيد الناصر يوسف من البلاد الشرقية، وانه عزم على ان يقطع الفرات وينزل على حلب[102].

وعلى الرغم من محاولة الملك الناصر يوسف التودد والتقرب الى هولاكو كما روى ابن خلدون، ولكن محاولاته لم تنفع، فقد " اوفد الناصر ابنه الى هولاكو بالهدايا والتحف على سبيل المصانعة واعتذر عن لقائه بالتخوف على سواحل الشام من الافرنج، فتلقى ولده بالقبول وعذره وارجعه الى بلده بالمهادئة والمواعدة الجميلة، ثم سار هولاكو الى حران وبعث ابنه في العساكر الى حلب" [103].

اما عدد العساكر المغولية التي حاصرت مدينة حران، والتي لم يتطرق اليها ابن شداد في روايته، فقد روى ابن العبري (ت،685هـ) المعاصر لابن شداد انه " في سنة ثمان وخمسين وستمائة دخل هولاكو ايلخان الشام ومعه من العساكر اربعمائة الف ونزل بنفسه على حران وتسلمها بالامان وكذلك الرها ولم يدن لاحد فيها بسوء" [104].

ونزول هولاكو بنفسه على مدينة حران ولم يبعث اليها احد قادته ذكره ابو الغدا كذلك، في قوله " قدم هولاكو الى البلاد التي بشرقي الفرات، ونازل حران وملكها، واستولى على البلاد الجزرية" [105]، وهو ماذكره ابن شداد من قبل[106].

ويبدو ان المغول وبعد فراغهم من احتلال بغداد، ارسلوا الغارات الى الجزيرة الفراتية لغرض الاستطلاع، وبعد ان جمعوا معلومات عن ارضها وشعبها وملوكها، وجهوا جيوشهم بثقلها صوب الجزيرة، وكان على رأس تلك الجيوش هولاكو، فتساقطت المدن بايديهم تباعاً واغلبها كانت استسلاماً، بعد يأس ولاتها واهلها من مواجهة المغول، ولم يظهر من الروايات ما يخالف ذلك، الا ماجاء عند المقريزي الذي ذكر في سقوط مدينة حران انها جاءت بعد ان نصب هولاكو المجانيق على اهل حران مما ادى الى استسلامهم[107].

المبحث الثالث : مدينة حران في حوزة المماليك البحرية .

المماليك البحرية يستولون على مدينة حران بعد هزيمة المغول:

المماليك هم من الرقيق الابيض ومصدرهم الشراء او الاسر او الهبات او الجزية التي يدفعها حكام الولايات او القادة العسكريون[108]. اذ كانوا يجلبون الى اسواق النخاسة وهم اطفال[109]، لذلك قيل ان افضل المماليك الصغار، لانهم اسرع طاعة واسرع قبولاً[110]، وكانوا ياتون بهم من شبه جزيرة القرم والقوقاز وبلاد فارس وبلاد ماوراء النهر، فكانوا خليطاً من الاتراك والشراكة والروس والروم والاكراد والتركمان والمغول[111]، وقد اكثر منهم الخلفاء العباسيون حتى صار عند المعتصم (218-227هـ) سبعين الف مملوك[112].

اما السلاطين فقد كانوا يقتنون افضل المماليك ويعهدون بهم الى الطباق[113]، واكثروا منهم، حتى كان جيش الدولة الايوبية يتكون في معظمه من المماليك، فتشكلت منهم فرق سميت باسماء سلاطينها، فهذه الفرقة الصلاحية نسبة الى صلاح الدين الايوبي (ت،589هـ) والفرقة الاسدية نسبة الى اسد الدين شيركوه (ت،564هـ)، وقد ساهمت الفرق المملوكية في الصراع الذي حدث بين الملك العزيز والملك المنصور ابناء صلاح الدين الايوبي، كذلك في الصراع على السلطة بين ابناء الملك العادل (ت،615هـ)[114].

اما السلاطين فقد كانوا يقتنون افضل المماليك ويعهدون بهم الى الطباق، واكثروا منهم، حتى كان جيش الدولة الايوبية يتكون من معظمه من المماليك، فتشكلت منهم فرق سميت باسم سلاطينها، فهذه الفرقة الصلاحية نسبة الى صلاح الدين الايوبي (ت،589هـ) والفرقة الاسدية نسبة الى اسد الدين شيركوه (ت،564هـ)، وقد ساهمت الفرق المملوكية في الصراع الذي حدث بين الملك العزيز والملك المنصور ابناء صلاح الدين الايوبي، وكذلك في الصراع على السلطة بين ابناء الملك العادل (ت،615هـ)[115].

وقد اعتمد عليهم الملك الصالح نجم الدين ايوب بن الملك الكامل (ت،647هـ) واكثر من شرائهم، وبنى لهم قلعة الروضة[116]، واسكنهم فيها واطلق عليهم اسم المماليك البحرية[117]، وعلى اثر وفاة الملك الصالح نجم الدين ايوب (ت،647هـ) قامت زوجته شجرة الدر[118] (ت،655هـ) باخفاء خبر موته، وتولت مهام الدولة[119] بمساعدة الامير فخر الدين شيخ الشيوخ[120] (ت،646هـ) محاولة منها لكسب الوقت حتى تستقدم الملك تورانشاه[121] (ت،648هـ) من حصن كيف الى مصر لاستلام السلطة[122]، حينها قام الافرنج بحملة عسكرية على مدينة ديمياط، مستغلين الاوضاع في مصر، ولكن هجومهم باء بالفشل حتى اسر قائد الحملة الملك لويس التاسع[123].

وبعد وصول الملك تورانشاه الى مصر، وتوليه الحكم، اصطدم بالمماليك البحرية الطامحين للسلطة والامتيازات، مما ادى الى مقتله وتولي شجرة الدر ثانية الحكم في مصر[124].

ويعد مقتل الملك تورانشاه عام (648هـ) نهاية الحكم الايوبي في مصر، وبداية دولة المماليك البحرية، اذ واجهت شجرة الذر مشكلات كبيرة في مصر وبلاد الشام عجزت عن حلها، وادت الى مقتلها، وتولي عز الدين ايبك التركماني (648-655هـ) مقاليد السلطة، كالو سلطان مملوكي، وكان تنصيبه حلاً وسطاً بين المتنافسين على الملك، وسمي بالمعز عز الدين ايبك الصالحي النجمي، اذ اكن مملوكاً للملك الصالح نجم الدين[125]، وبعد مقتله تولى السلطة ولده الملك المنصور حكم مصر[126].

وفي سنة (657هـ) تولى الامير قطز (657-658هـ) حكم مصر، ولقب بالملك المظفر سيف الدين[127]، وفي تلك الاثناء احتل المغول بلاد الشام، وتوجهت انظارهم نحو مصر، لكن الاحداث تتابعت وتسارعت في دولة

المغول نفسها، فقد جاءت الاخبار الى هولاكو وهو بالشام بان بركة شريكه في نسب جنكيز خان، قد زحف الى خراسان فامتعض، وانشغل بالفتنة معه[128]، فاجتمعت العساكر الاسلامية في مصر وعزم الملك المظفر قطز على الخروج الى الشام لقتال المغول، فسار بعساكره الاسلامية، والتقي الجمعان في معركة عين جالوت[129]، وبها انكسرت المغول وانهزموا، واخدتهم سيوف المسلمين، وقتل قائدهم كتبوغا[130][131].

وقد فصل ابن العميد المعاصر للاحداث في ذكر موقعة عين جالوت، بقوله: " في شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وستمائة خرج الملك المظفر قطز صاحب مصر وجميع من وصل اليه من عسكر الملك الناصر ومن اجتمع عنده من التركمان والشهرزورية لقتال كتبوغا ومن معه من التتار فالتقت العساكر على عين جالوت {كذا} من ارض كنعان قريباً من بيسان وتقاتلوا قتالاً شديداً عظيماً فحمل المظفر قطز بنفسه ومن معه من العساكر الاسلامية فنصرهم الله على التتار فكسروهم وقتل كتبوغا في المعركة" [132] .

اما المؤرخون اللاحقون، فمنهم من اعتمد رواية ابن العميد دون الاشارة اليه، مثل اليونيني[133]، وابو الفدا[134]، ومنهم من اعتمد رواية ابو شامة المقدسي التي ذكر فيها :" خرج عساكر اهل مصر مع من انضوى اليهم من العرب وغيرهم لقصد التتار يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر رمضان عند عين جالوت وما قاربها من البلاد فهزموهم وقتلوهم" [135]، والتي اعتمدها الذهبي نصاً ومعنى[136].

وكان من نتائج هذه المعركة المهمة في التاريخ انتقال البلاد التي كانت تحت حكم المغول ومنها مدينة حران الى ولاية السلطان الملك الظاهر بيبرس البندقداري[137] (ت،676هـ)، الذي صارت له الولاية بعد مقتل الملك المظفر قطز على يد مجموعة من امراءه، اثناء رجوعه من معركة عين جالوت الى مصر[138].

وقد واصل ابن شداد في تتبع اخبار مدينة حران وتقصي تطوارتها السياسية بعد أن صارت في ظل حكم الملك الظاهر بيبرس، فجاء قوله :" وبقيت حران في ايدي نواب التتر الى أن كسر كتيغا على عين جالوت في شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وستمائة ... وملك مولانا السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البلاد التي كانت التتر استولوا عليها" [139].

ثم تولى مدينة حران شمس الدين اقوس البرلي[140] (ت،661هـ) وهو من المماليك الملك العزيز صاحب حلب، وبقي عليها الى أن كسر عند مدينة سنجار سنة (660هـ) " فعادت نواب التتر الى حران، واستمرت نوابهم بها بعد على اسوأ حال ... وانتقل اكثر رعيتها الى ماردين والموصل" [141].

وهكذا بدت معالم اندثار مدينة حران وقلة ساكينها، بعد أن تناوبت عليها الحملات العسكرية وتصارع الجماعات المؤثرة في سير الاحداث السياسية، وقد تم ذلك على يد المغول سنة (670هـ) وفي ذلك ذكر ابن شداد انه " في سنة سبعين سير الملك الظاهر بيبرس البندقداري، الامير علاء الدين طيبرس[142] ومعه جماعة من العرب على رأسهم الشيخ عيسى بن مهنا[143] الى قاطع الفرات، وكان بحران جماعة من نواب التتر، فلما رأوا العسكر القوا سلاحهم، فقبضوا عن اخرهم، ثم اخذ بعضهم وعاد الى حلب، ولما تحقق التتر عجزهم عن حفظها، وحفظ من فيها، نقلوا جميع من فيها الى ماردين وغيرها، واخربوا جامعها، وسد ابوابها، وتركوها خاوية على عروشها" [144].

ومما لاشك فيه ان هنالك جملة من حالات التأريخية، قد تكرر ضمن تطورات الاحداث وتقادم الزمن، ومن ذلك انه بعد هزيمة الخوارزميين امام المغول، بقوا في ارض الشام والجزيرة الفراتية وهم ينتقلون من مكان الى اخر،

مهاجمين أي مدينة يصادفونها، فينهبون ويقتلون ويأسرون، وكذا الحال نفسه تكرر مع المغول بعد هزيمتهم امام المماليك البحرية، وفي ذلك قال ابن شداد في كتابه التأريخي :" في الخامس والعشرين من شهر رمضان وصل جماعة من التتر كثيرة الى حران، فأجربوا مشيد سورها وكثيراً من اسواقها ودورها، ونقضوا جامعها واخذوا اخشاب سقوفه، واستصحبوا معهم من فيها فخربت ودثرت" [145].

وروى ابن سباط انه " في الخامس والعشرين من شهر رمضان وصلت التتر الى حران، فاخربوا سورها وكثير من اسواقها ودورها، ونقضوا جامعها، واخذوا اخشاب سقوفه، فخربت ودثرت، واخذوا اهلها" [146].

اما رواية الذهبي فيما يخص اندثار مدينة حران، فهي موجزة، اذ روى عن احداث سنة (670هـ) " وفيها حولت التتار من حران بقايا اهلها الى رأس عين وغيرها واخليت حران وخربت" [147].

وكذا قال العيني:" بان التتار اغاروا على عينتاب، ثم توجهوا الى عمق حارم[148] [149]، اما ابن العماد الحنبلي فقد قال:" في رمضان حولت التتار من تبقى من اهل حران الى المشرق وخربت ودثرت بالكلية" [150].

ومما لاشك فيه ان هذه الاشارات والاقوال المباشرة قد اعطت دليلاً واضحاً ان مدينة حران قد اندثرت على يد المغول مباشرة او بسبب وصولهم الى هذه البلدة، وتواصل التنافس العسكري حول السيطرة عليها، وفي كل الاحوال فأن حران قد اصابها الدمار وقد اكد هذا الامر الذهبي بقوله :" ودثرت بالكلية" [151].

وبذلك يمكن القول بان الدور الحضاري لمدينة حران قد تلاشى بعد عام (670 هـ/1271م) وبقيت اطلالها اثرا بعد عين، تحكي مجد امنيفا في العلم والدين، وبين ثناياها صوراً مشرقة من الاحداث على صفحات التاريخ، واعلام في مختلف الميادين انجبتهم هذه المدينة العريقة التي كان مجرد الانتساب اليها يمثل شرقاً وزهواً[152].

الخاتمة

من المتعارف عليه أن ليس للبحث نهاية وخاتمة، فجهود الباحثين يكمل بعضه بعضاً، فهي سلسلة من الدراسات المنتجة ، ومما تبلور من خلال مسيرة البحث، أن المدن هي أولى بالدراسة من غيرها، لاسيما البحوث الأكاديمية ، لأن المدن تحتضن الأشخاص من قادة ومفكرين وتسهد الثورات السياسية والحركات الفكرية والاجتماعية، فهي تستوعب كل الأحداث التي تبقي آثارها في المدن بهيئات شتى .

وتبين من البحث أن مدينة حران هي مدينة قديمة البنيان عريقة في الزمان، وتكمن أهميتها بمكانتها الدينية وموقعها الستراتيجي، كما أنها احتضنت ديانة قديمة تمسكت بمعتنقيها وتمسكوا بها، حتى عرفت بهم على مدى العصور، إذ قيل أن حران مدينة الصابئيين، وأن ولكثرة من خرج منها من النوابغ في العلوم المختلفة، صار الانتساب إليها مفخرة ومحط تقدير، لذلك تكالبت عليها الدول للسيطرة على هذه المدينة المهمة، فسيطر عليها الأيوبيون ردحاً من الزمن، ثم تملكها الخوارزميون، وبعدها تنافس عليها المغول والمماليك البحرية كلاً يحاول السيطرة عليها، وكان لهذا التنافس أثر سلبي على المدينة ومفكريها وساكنيها، إذ هاجر علمائها إلى المدن المجاورة الأكثر استقراراً .

المصادر والمراجع

- الافضل:هو ابو الحسن علي نور الدين ابن السلطان صلاح الدين الايوبي.ابن خلكان:وفيات الاعيان، جـ3 ص419-420.
- العمري: مسالك الابصار، جـ27 ص196.
- ابن خلكان: وفيات الاعيان، جـ5 ص330-333؛ الذهبي: سير اعلام، جـ16 ص124-125.

•مسالك الابصار، جـ27 ص273.

•شمس الدين صواب العادلي: هو مقدم الجيوش عند الملك الكامل، وكان احد امراء الدولتين العادلية والكاملية. الذهبي: سير اعلام، جـ17 ص391.

•امد: بلد قديم حصين ركين مبني بالحجارة السود على نشز دجلة. الحموي: معجم البلدان، جـ1 ص56.

•نجم الدين ايوب: ابن الملك الكامل بن الملك العادل، اخر سلاطين الدولة الايوبية، استخلفه ابوه على البلاد الشرقية حران وماولاها. الشارعي، ابو محمد موفق الدين بن عبد الرحمن: مرشد الزوار الى قبور الابرار، (الدار المصرية اللبنانية للنشر، القاهرة، 1994م)، جـ2 ص7؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، جـ10 ص35-36.

•الاعلاق الخطيرة: ق1 جـ3 ص58.

•معجم البلدان، جـ2 ص107.

• ديمياط: مدينة على ضفة البحر الشامي وبينهما مسافة الادريسي: نزهة المشتاق، جـ1 ص338.

•الروض المعطار، ص257.

•معجم البلدان، جـ5 ص212.

•خربة اللصوص: موضع بين مصر وبلاد الشام، على الحدود بينهما. الحموي: معجم البلدان، جـ2 ص474 .

•مرج العيون: موضع بسواحل الشام. ابن عبد الحق: مراصد الاطلاع، جـ3 ص1255 .

•التاريخ المنصوري، ص42.

•الكامل: جـ10 ص327.

•المواعظ والاعتبار، جـ4 ص222.

•العمري: مسالك الابصار، جـ27 ص273.

•مسالك الابصار، جـ27 ص278-279.

•المواعظ والاعتبار، جـ4 ص222.

• تاريخ ابن الوردي، جـ2 ص148.

•ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ6 ص233.

• بغية الطلب، جـ7 ص3453.

• الحموي: معجم البلدان، جـ2 ص474.

• بحر الخزر: هو البحر الذي يحده من الشرق الديلم وطبرستان وجرجان، ومن الغرب ارران وحدود السرير وبلاد الخزر، وجنوبه الجبل والديلم، وليس له اتصال بالبحار . الاصطخري: المسالك، ص217-218 .

• بارتولد: فاسيلي فلاديمير: تاريخ الترك في اسيا الوسطى، ترجمة: احمد سعيد سليمان، مراجعة: ابراهيم صبري، (مكتبة الانجلو، القاهرة، 1985)، 94-95 ؛ خورشيد، ابراهيم زكي: دائرة المعارف الاسلامية، نقلها للعربية: محمد ثابت الفندي (مطبعة مصر، مصر، 1934م)، مج2 ص38-45 .

•الجاحظ، عمرو بن بحر: رسائل الجاحظ: تحقيق: عبد السلام محمد هارن، (مكتبة الخانجي للنشر، القاهرة، 1964م)، ص70-72 .

- اشرونسة: بلدة كبيرة بما وراء النهر، والغالب عليها الجبال . الحموي: معجم البلدان، جـ1 ص197 .
- بخارى: مدينة عظيمة مشهورة بما وراء النهر قديمة طيبة. القزويني: آثار البلاد، ص509.
- الراوندي، محمد بن علي: راحة الصدور وأية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، نقله للعربية: إبراهيم امين الشواربي وعبد المنعم محمد حسنين وآخرون، (مطابع دار القلم، القاهرة، 1960م)، ص145.
- الحسيني، صدر الدين ابو حسن علي: زبدة التواريخ أخبار الامراء والملوك السلجوقية، تحقيق: محمد نور الدين، (دار أقرأ النشر، بيروت، الطبعة الثانية، 1986م)، ص23 .
- الحموي: معجم البلدان، جـ4 ص482.
- ارمينية: ناحية بين اذربيجان والروم . ذات مدن وقرى كثيرة . القزويني: اثار البلاد، ص495 .
- الري: كورة معروفة تنسب الى الجبل، والري اقرب الى خراسان . البكري: معجم ما استعجم، جـ2 ص690 .
- التطيلي: رحلة بنيامين، ص42 ؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار، جـ3 ص356 .
- ابن الاثير: الكامل، جـ8 ص294 ؛ الصلابي، عصر الدولة، ص17 .
- الذهبي: سير الاعلام، جـ16 ص295 .
- الاعلاق الخطيرة، جـ1 ق1 ص59 .
- مسالك الابصار، جـ27 ص298 .
- المواعظ والاعتبار، جـ4 ص223 .
- بغية الطلب، جـ 7 ص3453 .
- ابو الفدا: المختصر في اخبار، جـ3 ص157 .
- المكين جرجيس: اخبار الايوبين، (مكتبة الثقافة الدينية للنشر، بورسعيد، بلا . ت)، ص19.
- مسالك الابصار، جـ27 ص300 .
- الاصطخري: مسالك الممالك، ص299 ؛ ابن المنجم، اسحاق بن الحسين: اكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان، (عالم الكتب للنشر، بيروت، 1987)، ص79 .
- معجم البلدان، جـ2 ص395 .
- الحموي: معجم البلدان، جـ3 ص25 .
- البلدان، ص298 .
- النسوي، محمد بن احمد: سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي،تحقيق: حافظ احمد حمدي،(دار الفكر العربي للنشر،د. م، بلا . ت)، 34 .
- بركيا روق بن ملكشاه بن الب ارسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق (ت، 498هـ) كان مسعورا بالحروب، عالي الهمة . ابن خلكان: وفيات الاعيان، جـ1 ص268 .
- ابن واصل، محمد بن سالم: مفرج الكروب في اخبار بني ايوب، تحقيق: حسنين محمد ربيع، (دار القلم للنشر، القاهرة، 1972م)، جـ4 ص35 .
- السلطان سنجر بن ملكشاه بن الب ارسلان، يرجع نسبه الى سلجوق، صاحب خراسان وغزنه .
- العمري: مسالك الابصار، جـ27 ص284 .

•اتسز كلمة تركية معناها (من لا اسم له) وقد جرت عادة الترك ان من يموت بنوه يحي احدهم بهذا الاسم حتى يعيش ولا يهلك . النسوي: سيرة السلطان، ص34 .

•ابن الاثير: الكامل، جـ8 ص411 ؛ الذهبي: تاريخ الاسلام، جـ36 ص219 .

•جلال الدين منكبرتي بن علاء الدين محمد بن خوارزمشاه تكش، تملك البلاد، ودانت له الامم، ومنكبرتي معناه (هبة السماء او مبعوث السماء) الذهبي . سير اعلام، جـ16 ص241–242 .

•فرغانة مدينة وكورة واسعة بما وراء النهر متاخمة لبلاد تركستان . الحموي: معجم البلدان، جـ4 ص253 .

•نهر السند هو شعب نهر جيحون {متفرع منه} واليه ينسب بعض مملكة الهند . ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ص173–174 .

•بركات خان من قادة الخوارزمية، وكان اجلهم مائلا للخير . الصفوي: الوافي بالوفيات، جـ10 ص75 .

•ابو شامة، عبد الرحمن بن اسماعيل: تراجم رجال القرنين السادس والسابع الهجريين (المعروف بالذيل على الروضتين)، صححه: محمد زاهد بن الحسن الكوثري (دار الكتب الملكية، القاهرة، بلا . ت)، 165 .

•العمري: مسالك الابصار، جـ27 ص303 .

•الاعلاق الخطيرة، ق1 جـ3 ص59 .

•تاريخ مختصر، ص250 .

•الوافي بالوفيات، جـ10 ص36 .

•اخيار الايوبين، ص24 .

•بالس: مدينة على شط الفرات من غربية، وهي اول مدن الشام من جهة العراق . ابن حوقل: صورة الارض، جـ1 ص180 .

•ابن العديم: زبدة الحلب، ص501–502، ابن شداد: الاعلاق، ق1 جـ3 ص59 .

•عانة بلدة بين هيت والرقة يطوف بها خليج من الفرات . القزويني: اثار البلاد، ص418 .

•مسالك الابصار، جـ27 ص317–318 .

•تاريخ الاسلام، جـ46 ص42 .

• تاريخ ابن الوردي، جـ2 ص166 .

• نهر الذهب، جـ3 ص128 .

•الحموي: معجم البلدان، جـ2 ص398 .

•منغوليا: تقع في قلب قارة اسيا، محاطة من جميع الجهات بسلاسل جبلية مرتفعة ومناخها تغلب عليه صفة القارية، فايد: جغرافية المناخ والنبات، جـ1 ص221 .

•الصياد، فؤاد عبد المعطي: المغول في التاريخ، (دار النهضة العربية للنشر، بيروت، 1980) جـ1 ص30 .

•العيني، بدر الدين محمود: السيف المهند في سيرة الملك المؤيد " الشيخ المحمودي" ، تحقيق: فهيم شلتوت، مراجعة: محمد مصطفى زيادة، (دار الكتاب العربي للنشر، القاهرة، 1966م)، ص179 .

•عمران: احمد واخرون: المغول واوربا، (دار المعرفة الجامعية، د.م، 1977م)، ص35 .

•العمري: مسالك الابصار، جـ3 ص111 .

•ابن الاثير: الكامل،جـ10 ص335؛ العريني، السيد الباز: المغول، (دار النهضة العربية) بيروت، 1967م، ص36.

•شبولر، برتولد، العالم الاسلامي في العصر المغولي، ترجمة: خالد اسعد عيسى، مراجعة: سهيل زكار، (دار احسان للطباعة والنشر، دمشق، 1982م)، ص21 .

•ابن العبري: تاريخ مختصر، 234 .

•اقبال، عباس: تاريخ المغول منذ حملة جينكيز خان حتى قيام الدولة التيمورية، ترجمة: عبد الوهاب علوب، مراجعة: حسن التابوذة، (المجتمع الثقافي، ابو ظبي، 2000م)، ص37 ؛ الصياد: المغول في التاريخ، جـ1 ص39 .

•القوريلتاي: مجلس يضم مجموعة من زعماء القبائل والامراء وكبار الدولة، ويجمع فيه من اجل تعيين احد اعضاء الاسرة المالكة امبراطوراً او حاكماً. عمران: المغول في اوربا، ص3 .

•جنكيز خان: كلمة صينية معناها ابن السماء. ف – يان: جنكيز خان سفاح الشعوب، ترجمة: السيدة صوفي عبد الله، (دار الهلال، 1952م)، ص10 .

•لامب، هارولد: جنكيز خان امبرطور الناس كلهم، ترجمة: بهاء الدين نوري، (مطبعة السكك الحديدية للنشر، بغداد، د.م)، 51–57؛ الصلابي،علي محمد محمد: المغول {التتار} بين الانتشار والانكسار(الاندلس الجديدة، مصر، 2009م)، ص34 .

•القزويني: اثار البلاد، ص558 .

•حادثة اترار: عندما ارسل جنكيز خان مجموعة من التجار الى مدينة اترار التي كان حاكمها انذاك ابنال خان ابن خال خوارزمشاه، ولما راى مايحمله هؤلاء التجار من بضائع واموال طمع فيها واراد اخذها، فارسل الى السلطان خوارزمشاه يخبره بان هولاء التجار الذين ارسلهم جنكيز خان ليسوا الا جواسيس، فارسل له السلطان ياخذ الاحتياط في ذلك، لكن اينال خان قتلهم وصادر ماعندهم من اموال وبضائع . النسوي: سيرة السلطان، ص85–86 .

•ابن خلدون: تاريخ، جـ5 ص103 ؛ فهمي، عبد السلام عبد العزيز: تاريخ الدولة المغولية في ايران، (دار المعارف، القاهرة، 1981م)، ص57–75 .

•لين بول: ستانلي: الدول الاسلامية، ترجمة: محمد صبحي وزات، صححه: بارتولد وخليل اهم، (مطبعة الملاح، دمشق، 1974م)، ق2 ص501 .

•اردبيل: اعظم مدن اذربيجان، وهي من الجهة الشمالية من اذربيجان . المهلبي: المسالك، ص139 .

•معجم البلدان، جـ1 ص145 .

•اسفيجاب: بلدة كبيرة من اعيان بلاد ما وراء النهر، في حدود تركستان . ابن عبد الحق: مراصد الاطلاع، جـ1 ص74 .

•معجم البدان، جـ1 ص179 .

•شاذياخ: مدينة بخراسان على قرب نيسابور، كانت ذات سور حصين وخندق وكثرة الخلق. القزويني: اثار البلاد، ص395–396 .

•أثار البلاد، ص396 .

•المغريزي: المواعظ والاعتبار، جـ4 ص222 .

•هولاكو بن تولي قان بن الملك جنكيز خان، كان من اعظم ملوك التتر، طوى البلاد، واستولى على الممالك، كان هلاكه بعلة الصرع سنة(664هـ) .الذهبي:تاريخ الاسلام،جـ 49 ص180-182 ؛الكتبي:فوات الوفيات،جـ4 ص240.

•الاعلاق الخطيرة، ق1 جـ3 ص60-61 .

•يفلغ: مرسوم اوامر السلطان او ما يسمى بالغرمان .

•ابن شداد: الاعلاق الخطيرة، ق1 جـ3 ص61 .

•مسالك الابصار، جـ27 ص374 .

•سموط: هو ابن هولاكو، واحد كبار قادته، ارسله لاحتلال معظم مدن الشام، ابتداء بحلب

•اخبار الايوبيين، ص48-49 .

•ابن خلدون: تاريخ، جـ5 ص422 .

•تاريخ مختصر، ص279 .

•المختصرة في اخبار، جـ3 ص199 .

•الاعلاق الخطيرة، ق1 جـ3 ص60-61 .

•المغريزي، احمد بن علي: السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، (دار الكتب العلمية، بيروت، 1997)، جـ1 ص508 .

•عطية الله، احمد: القاموس الاسلامي، (القاهرة، 1966م)، جـ2 ص557 .

•القزويني: اثار البلاد، ص531 .

•ابن الفقيه: البلدان، ص493 .

•ابن عبد الظاهر، عبد الله رشيد الدين بن نشوان: تشريف الايام والعصور في سيرة الملك المنصور، تحقيق: مراد كامل، (القاهرة، 1961م)، ص37 .

•الهروي: الاشارات، ص65 .

•الطباق مفردها طبقة وهي ثكنات المماليك السلطانية، والمسؤول عنها يسمى مقدم الطباق . المقريزي: المواعظ والاعتبار، جـ3 ص120 .

•ابو الغدا: المختصر، جـ3 ص120 .

•ابو الفدا: المختصر، جـ3 ص322 .

•المقريزي: المواعظ والاعتبار، جـ3 ص322 .

•المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، جـ1 ص441 .

•شجرة الدر: هي ام الخليل زوجة الملك الصالح نجم الدين ايوب، تملكت مصر ثمانية اشهر ولم يملك في الاسلام امراة غيرها . ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد: رحلة ابن خلدون، عارضها باصولها: محمد تاويت الطنجي، (دار الكتب العلمية،بيروت،2004م)، ص248؛ القلقشندي، احمد بن علي: مأثر الاناقة في معالم الخلافة، تحقيق: عبد الستار احمد فراج، (مطبعة حكومة الكويت، الكويت، 1985م)، جـ2 ص93-94 .

•ابن خلدون: رحلة، 248؛ المقريزي: الواعظ والاعتبار، جـ1 ص407 .

•هو فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ صدر الدين، كان احد ندماء وسفراء الملك الكامل، تولى مدينة حران مدة من الزمن . المقريزي: المواعظ والاعتبار، جـ3 ص64 .

•الملك تورانشاه هو الملك المعظم بن الملك الصالح نجم الدين ايوب، تولى السلطة بعد وفاة ابيه بمساعدة شجرة الدر . المقريزي: السلوك، جـ1 ص448 .

•ابن خلدون: رحلة، 248 .

•ابن العميد: اخبار الايوبين، ص38 .

•المقريزي: السلوك، جـ1 ص472 .

•الغزي: نهر الذهب، جـ3 ص190 .

•العمري: مسالك الابصار، جـ27 ص363 .

•هو السلطان: المظفر سيف الدين قطز بن عبد الله المعزي، كان فارساً شجاعاً، سائساً، ديناً هزم التتار. الذهبي: سير اعلام، جـ16 ص394 .

•العمري: مسالك الابصار، جـ16 ص394 .

•عين جالوت موضع عند مدينة بيسان في غور الاردن . الحميري: الروض المعطار، ص119 .

•كتبغانوين من قادة التتار، يعتمدون رايه وشجاعته، وكان شيخاً يميل للنصرانية . الذهبي: تاريخ، جـ48 ص355 .

•العمري: مسالك الابصار، جـ27 ص384 .

•اخبار الايوبيين، ص53 .

•اليونيني، موسى بن محمد: ذيل مرآة الزمان، (دار الكتاب الاسلامي، القاهرة، 1992م) جـ2 ص35 .

•ابو الفدا: المختصر، جـ3 ص205 .

•تراجم رجال، ص207 .

•تاريخ الاسلام، جـ48 ص353 .

•بيبرس البندقداري: هو بيبرس بن عبد الله، الملك الظاهر ركن الدين ابو الفتح، احد مماليك الملك الصالح نجم الدين ايوب (ت،676هـ)، ابن خلكان: وفيات الاعيان، جـ4 ص155 .

•ابو شامة: تراجم رحال، ص210 .

•الاعلاق الخطيرة، ق1 جـ3 ص62 .

•اقوش البرلي من مماليك الملك العزيز صاحب حلب، اذ سار في جملة العساكر العزيزية مع ولده الملك الناصر الى القتال مع المصريين،ثم دخل مصر،فاحسن اليه المظفر قطز وولاه السواحل وغزه. المقريزي:السلوك، جـ1 ص518 .

•ابن شداد: الاعلاق الخطيرة، ق1 جـ3 ص62 .

•علاء الدين طيبرس هو صهر السلطان الملك الظاهر بيبرس، وعامله على دمشق (ت،689هـ)، الصفدي: الوافي بالوفيات، جـ16 ص291-292 .

•هو الامير شرف الدين عيسى بن مهنا بن مانع. امير بدوي، صيره بيبرس البندقداري اميراً على العربان في بلاد الشام والجزيرة، ابن العبري: تاريخ، ص288؛ ابن كثير: البداية والنهاية، جـ13 ص256 .

•الاعلاق الخطيرة، ق1 جـ3 ص63 .

•محمد بن علي:تاريخ الملك الظاهر،اعتناء: احمد حطيط (المعهد الالماني للابحاث الشرقية، بيروت،1983)، ص33 .
•صدق الاخبار: ص434 .
•الذهبي، شمس الدين ابي عبد الله: دول الاسلام، (مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، 1985م) ص372 .
•حارم: حصن حصين وكورة جليلة، تجاه انطاكية، وهي من اعمال حلب . الحموي: معجم البلدان، جـ2 ص205 .
•محمود بن احمد: عقد الجمان في تاريخ اهل زمان (د.م، بلا.ت)، ص132.
•ابن العماد الخيلي: شذرات الذهب، جـ7 ص577 .
•الذهبي، شمس الدين ابو عبد الله محمد: العبر في خبر من غبر، تحقيق: ابو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، (دار الكتب العملية، بيروت، بلا.ت)، جـ3 ص320 .